الدرس السابع : مناهج البحث العلمي.(المنهج التاريخي – منهج دراسة الحالة – المنهج الوصفي المنهج المقارن)

الهدف: يقصد بمناهج البحث العلمي تلك المجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر محل الدراسة في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية. وتختلف هذه المناهج باختلاف الموضوعات المطلوب بحثها من قبل الباحثين الذين يمكن أن يتبعوا مناهج علمية مختلفة.

وعلى تعدد مناهج البحث العلمي حسب التصنيفات التي وضعها الباحثون يمنك التأكيد على جملة منها والتي تعتبر من أكثر المناهج استعمالا في دراسة الظواهر السياسية كما يلي:

أولا. المنهج التاريخي:

1– تعريف المنهج التاريخي:

تعددت التعريفات التي أعطيت للمنهج التاريخي يمكن حصر أهمها في:

– بأنه "عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذٍ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة"

– ويعرف، بأنه "ذلك المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفاً كيفياً، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي، وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة.[1]

–يدور هذا المنهج حول الجهود الضخمة التي يبذلها لتحليل مختلف الأحداث التي حدثت في الماضي وتفسيرها، فهو يفيدنا في دراسة ظواهر ماضية ولدت في ظروف زمنية لها خصائصها، أو دراسة ظاهرة حاضرة تمتد جذورها إلى الماضي والتطورات التي لحقتها في إطار تحليلي تفسيري".

– يستخدم هذا المنهج الإسترجاعي للحصول على أنواع مختلفة من البيانات والمعلومات ذات الطابع المعرفي وذلك لبيان تأثير الأحداث الماضية على المشكلات والقضايا التي يعاني منها الأفراد في الأوقات الحالية. [2]

2. أهمية المنهج التاريخي:

يحظى هذا المنهج بمكانة مهمة ضمن مناهج الدراسات السياسية، ذلك أن دراسة ظاهرة سياسية ما والتقلبات التي طرأت عليها يستدعي استرجاع اللحظة التي حدثت أو ولدت فيها والظروف المحيطة بها، وتكمن أهميته في:[3]

أ – قدرته التفسيرية لأنه يعطي للزمن دورا في التفسير، فهو يدخل الظروف المحيطة بميلاد ظاهرة أو تعزيزها أو اختفاءها في تفسير ذلك. مثلا ظهور الدستور في ظل ظروف معينة، زوال النظام الاشتراكي....

ب– يمكّن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي.

ج– يساعد على إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية

د– يؤكد الأهمية النسبية للتفاعلات المختلفة التي توجد في الأزمنة الماضية وتأثيرها

هـ– يتيح الفرصة لإعادة تقييم البيانات بالنسبة لفروض معينة أو نظريات أو تعميمات ظهرت في الزمن الحاضر دون الماضي.

يتضمن المنهج التاريخي خطوتين أو **عمليتين مهمتين:**

أولهما جمع المعلومات أي الوثائق والمعلومات حول الظاهرة محل الدراسة من مصادرها الأولية والثانوية(سجلات سياسية، سجلات معاهدات واتفاقيات، سير ذاتية لشخصيات سياسية، مذكرات، رسائل...).

و**ثانيهما** تفسير الظاهرة محل الدراسة بناء على المعلومات المجموعة بشأنها.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة نقد وتمحيص تلك المعلومات، بحيث لا يكتفي الباحث بجمع المعلومات وتكديسها، بل يحتاج بعد ذلك إلى نقدها من أجل التحقق من صحتها وانتماءات كتابها، ودرجة معايشتهم للأحداث، حتى يمكن في الأخير الاحتفاظ بما يفيده في الدراسة واستبعاد ما لا يحتاج إليه.[4]

ويأخذ نقد الوثائق والمعلومات مستويين نقد خارجي، ونقد داخلي:[5]

أما **النقد الخارجي:** وهو ما يعرف أيضا بنقد الأصالة، فيتمثل في إيجاد أصل الوثيقة أي إرجاعها إلى زمانها الحقيقي، معرفة كاتبها، مكانها الأصلي...، بما يمكن من معرفة مكامن الزيف والعثور على الأخطاء.

أما **النقد الداخلي:** وهو ما يعرف بنقد المصداقية فيتضمن التأكد من المعاني الحقيقية التي تحتويها الوثيقة.

ولا يكتفي الباحث بجمع البيانات ونقدها، بل يسعى إلى تعليل الوقائع والأحداث من خلال تفسيرها والربط بينها وبين الأوضاع السائدة في تلك الفترة.

3– خطوات المنهج التاريخي:

إذا كان الباحث يستخدم المنهج التاريخي في البحث كمنهج أساسي، فإنه يعتمد مجموعة خطوات هي:[6]

– تحديد المشكلة لها بعد أو امتداد تاريخي؛

– صياغة الفرضيات؛

– جمع المعلومات والبيانات ويحللها وينتقدها ويستبعد غير المناسب منه؛

– اختبار صحة الفرضيات من خلال ما جمعه من معلومات، ثم يحاول التعميم وعرض النتائج.

– كتابة تقرير البحث.

4– مزايا وعيوب المنهج التاريخي:

على أهمية المنهج التاريخي في دراسة الظواهر الاجتماعية عموما بما فيها السياسية، يرى البعض في وجود مزايا عديدة لهذا المنهج، كما أنه لا يخلو من بعض العيوب نوجزهما في:[7]

أ . مزايا المنهج التاريخي:

– يعتمد المنهج التاريخي الأسلوب العلمي في البحث، فالباحث يتبع خطوات الأسلوب العلمي مرتبة، وهي: الشعور بالمشكلة، وتحديدها، وصياغة الفروض المناسبة، ومراجعة الكتابات السابقة، وتحليلا لنتائج وتفسيرها وتعميمها.

– اعتماد الباحث على المصادر الأولية والثانوية لجمع البيانات ذات الصلة بمشكلة البحث لا يمثل نقطة ضعف في البحث إذا ما تم القيام بالنقد الداخلي والنقد الخارجي لهذه المصادر.

ب . عيوب المنهج التاريخي:

–أن المعرفة التاريخية ليست كاملة، بل تقدم صورة جزئية للماضي؛ نظراً لطبيعة هذه المعرفة المتعلقة بالماضي، ولطبيعة المصادر التاريخية وتعرضها للعوامل التي تقلل من درجة الثقة بها، من مثل: التلف والتزوير والتحيز.

– صعوبة تطبيق الأسلوب العلمي في البحث في الظاهرة التاريخية محل الدراسة؛ نظراً لأن دراستها بواسطة المنهج التاريخي يتطلب أسلوباً مختلفاً وتفسيراً مختلفاً.

– صعوبة تكوين الفروض والتحقق من صحتها؛ وذلك لأن البيانات التاريخية معقدة، إذ يصعب تحديد علاقة السبب بالنتيجة.

– صعوبة إخضاع البيانات التاريخية للتجريب، الأمر الذي يجعل الباحث يكتفي بإجراء النقد بنوعية الداخلي والخارجي.[8]

– صعوبة التعميم والتنبؤ؛ وذلك لارتباط الظواهر التاريخية بظروف زمنية ومكانية محددة يصعب تكرارها مرة أخرى من جهة، كما يصعب على المؤرخين توقع المستقبل.

ثانيا. <u>منهج دراسة الحالة</u>:

1– تعريف منهج دراسة الحالة:

هو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواءً كانت فردا أو مؤسسة أو نظاما سياسيا...، وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ تلك الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها، قصد الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة، وبغيرها من الوحدات المشابهة لها.[9]

يمتاز عن غيره من المناهج بالعمق والتركيز على ظاهرة أو حالة محددة وعدم الإكتفاء بالوصف الخارجي لها، إلى جانب اعتباره أسلوبا ممتازا لجمع معلومات شاملة عن تلك الحالة محل الدراسة، بطريقة تحليلية

يسعى من خلالها الباحث إلى تفسير ما تم جمعه من معلومات بشأن تلك الحالة قصد الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها على الحالات المشابهة.

2 – مميزات منهج دراسة الحالة: يتميز منهج دراسة الخالة بالعديد من الهصائص يمكن إجمالها في:[10]

– طريقة للحصول على معلومات شاملة بخصوص الخالات الدروسة؛

– يقوم على أساس التعمق في دراسة الوحدات المختلفة وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجي.

– طريقة للتحليل النوعي وليس الكمي للحالات المدروسة.[11]

3 – خطوات منهج دراسة الحالة: يرتكز منهج دراسة الحالة على مجموعة من الخطوات يمكن تلخيصها في:[12]

– تحديد الظاهرة أو الحالة التي ينبغي دراستها؛

– جمع معلومات دقيقة ومفصلة حولها، ثم تحليل تلك المعلومات بطريقة علمية وموضوعية للحصول على نتائج محددة؛

– وضع الفرضيات بشأن الحالة المدروسة؛

– اقتراح حلول أو علاج للحالة المدروسة؛

– تعميم النتائج المحصل عليها على حالات مشابهة.

4– مزايا وعيوب منهج دراسة الحالة: على الرغم من أهمية منهج دراسة الحالة في الدراسات الاجتماعية عامة والسياسية على وجه الخصوص، واستعمالاته الواسعة في الوقوف على حقيقة الكثير من الحالات محل الدراسة، إلا أنه لا يخلو حسب بعض الدارسين من بعض النقائص. وإجمالا يمكن تلخيص أهم مزايا ونقائص هذا المنهج في:[13]

– عدم تمكن علماء الاجتماع من التمييز بيم دراسة الحالة كمنهج ودراسة الحالة كأداة؛

– تأثر الحالة محل الدراسة بذاتية الباحث، بمشاعره ومعتقداته في كثير من الأحيان لاعتباره جزء لا يتجزء منها؛ الكلفة المادية بسبب اعتماده على المقابلات واستيفاء البيانات.

ثالثا.<u>المنهج الوصفي</u>:

1– <u>تعريف المنهج الوصفي</u>:

يُعد من أكثر المناهج العلمية استخداما في الدراسات السياسية التي يصعب فيها استخدام التجريب لما تتميز به الظاهرة السياسية من تغير في الزمان والمكان. يرتكز على الوصف الدقيق والتفصيلي للظاهرة محل الدراسة، وصفا علميا تحليليا، فهو لا يكتفي بالوصف الشكلي للظاهرة بل يعتمد التحليل العلمي في ذلك، قصد الوصول إلى أسبابها والعوامل المتحكمة فيها واستخلاص نتائج يمكن تعميمها.

2– أهمية المنهج الوصفي في البحث العلمي: تتضح أهمية المنهج الوصفي كما يلي:[14]

– يوفر بيانات عن واقع الظاهرة محل الدراسة، مع تفسير لهذه البيانات في حدود الإجراءات المنهجية ومدى قدرة الباحث على التفسير،

– يحلل البيانات وينظمها بصورة كمية وكيفية، والوصول إلى استنتاجات تساعد على فهم الظاهرة محل الدراسة؛

– إمكانية القيام بمقارنات بين الظاهرة المدروسة والظواهر الأخرى ذات الصلة؛

– إمكانية استخدامه في دراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية وحتى الطبيعية.

3– **أهداف المنهج الوصفي:** يهدف المنهج الوصفي إلى تحقيق جملة من الأهداف يمكن إيجازها في:[15]

– جمع معلومات حقيقية ومفصلة للظاهرة موضوع الدراسة؛

– توضيح الظواهر الأخرى التي تتأثر وتؤثر في الظاهرة محل الدراسة؛

– مقارنة وتقييم الظاهرة المدروسة بغيرها من الظواهر الأخرى؛

– تحديد طبيعة العلاقة بين الظاهرة المدروسة وغيرها من الظواهر المحيطة بها.

4– <u>خطوات المنهج الوصفي</u>: ترتبط نشأة وتطور المنهج الوصفي بإشكالية عدم وجود منهج علمي حقيقي يصلح لتحليل الظواهر الاجتماعية بما فيها الظواهر السياسية، وحاجة هذه العلوم لاستخدام الملاحظة العلمية الدقيقة، ومن هنا كانت الخطوات الأساسية التي يرتكز عليها هذا المنهج والتي نوجزها في ما يلي:[16]

– تحديد الظاهرة موضوع البحث؛

– تحديد المشكلة ووضع الفرضيات كحلول مبدئية لها؛

– جمع معلومات وبيانات دقيقة وكافية بشأنها؛

– تحليل ما تم جمعه من معلومات قصد التعرف على العوامل المكونة والمؤثرة على تلك الظاهرة.

- **<u>المنهج المقارن:</u>**

هو تلك الخطوات التي يتبعها الباحث في مقارنته للظواهر محل البحث والدراسة، قصد معرفة العناصر التي تتحكم في أوجه الشبه والاختلاف في تلك الظواهر ومحاولة تفسيرها، بمعنى إعطاء دلالات لصور التشابه والاختلاف. فهو لا يكتفي فقط بالتصنيف المبسط لأوجه الشبه والإختلاف، بل يسعى إلى تفسير تلك الظواهر من خلال الكشف عن العلاقة بين المتغيرات.

مثلا: في دراسة أثر الثقافة السياسية على المشاركة السياسية في المنطقة العربية، يمكن استخدام المنهج المقارن من خلال دراسة المشاركة السياسية في دولتين عربيتين أو أكثر، قصد الوقوف على تفسير عملية المشاركة وأهم العوامل المؤثرة فيها.

ـ خطواتـه: تحديد الظاهرة محل الدراسة تحديدا يوحي بوجود مقارنة(دولتين، نظامين، مؤسستين....)، تحديد المشكلة تحديدا واضحا ودقيقا، صياغة الفروض، تحديد المفاهيم والتعريفات إن أمكن ذلك، ثم جمع البيانات الضرورية للمقارنة ولاختبار الفروض المُصاغة، ثم تحليل البيانات قصد الوصول إلى النتائج وعرضها.[17]

[1] – محمود الفرماوي،"المنهج التاريخي في البحث العلمي"، http://elearning.uokerbala.edu.iq/course/view.php?id=50

https://shms.sa/authoring/23593/view

عبد الغفار رشاد القصبي ، **مناهج البحث في علم السياسة**.القاهرة : مكتبة الاداب ، 2004 .